Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* يروى صاحب الأغانى خصومة مماثلة بين «سيبويه وبشار» حين عابه الأول فى بعض ما يقول ، فبلغ ذلك بشارا فقال : ويلى على ابن القصارين !! متى كانت الفصاحة فى بيوت القاصرين ؟! دعونى وإياه ، فلما بلغ ذلك سيبويه بكى وجزع فقيل له ! ما يبكيك ؟! فقال : مالى لا أبكى وقد وقعت فى لسان بشار الأعمى - وانتهى الأمر بأن اعتذر أصحاب العالم النحوى العظيم عنه ، واستوهبوا من بشار عرضه .

* يروى أبو حيان التوحيدى موقفا طريفا من ذلك فيقول : وقف أعرابى على مجلس الاخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه ، فحار وعجب وأطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ ! قال : أراكم تتكلمون بكلامنا فى كلامنا بما ليس من كلامنا .

* وما حدث بين المتنبى وابن خالويه فى مجلس سيف الدولة أشهر من أن يذكر، فقد انتهى إلى مشاجرة مؤسفة سالت فيها دماء الشاعر المقهور .

هذه الروايات - وأمثالها كثير جدا - علائم تستوقف النظر ، وتلفت الفكر إلى طبيعة العلاقة التى كانت بين ناطقى اللغة ودارسى النحو ، وربما كان قول الأعرابى للأخفش «أراكم تتكلمون بكلامنا فى كلامنا بما ليس من كلامنا» - على بساطته وسذاجته وعفويته - عميق المغزى والدلالة على التصدع الذى حدث بين الكلام فى النحو وكلام العرب من جهة ، وعلى الروح التى سيطرت على دراسة النحو من جهة أخرى ، روح الفلسفة والمنطق والمجادلات الذهنية الحادة التى لاتفيد شيئا ذا قيمة .

ثانيا : أحس النحاة قديما بالعبء الفادح الذى حملوا أنفسهم عليه وأرادوا أن يحملوا الناس عليه أيضا، إذ لم تستطع عقول المتعلمين الغضة أن تستوعب النحو كما شاء له النحاة أن يكون فروضا ومجادلات وقضايا منطقية وفلسفة ذهنية عميقة ، فاصطدموا بالنفور والإعراض ، وتنبهوا إلى ضرورة التيسير على المتعلمين من الناس العاديين والصغار الناشئين - تماما كما هو الأمر فى هذه الأيام - وإلى ضرورة مخاطبة الناس على قدر عقولهم بعد أن أوغلوا فى التعقيد والإغراب .